سلسلة مطويات شبكة بينونة

فوائد قرآنية ٢٧

أقسام النفوس في القرآن

الشيخ
يوسف بن حسن الحمادي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

للنفوس صفات عديدة، وأحوال متنوعة، تارة تُمدح عليها، وتارة تُذمُّ، وعلى هذا تعددت أقسام النفوس في كتاب الله تعالى، ومن تأمل نصوص القرآن وجد أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: النفس المطمئنة، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨].

الثاني: النفس اللوامة، وهي المذكورة في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة: ٢].

الثالث: النفس الأمَّارة بالسوء، وهي المذكورة في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف: ٥٣].

فالنفس المطمئنة هي التي تحب الخير، وتُقبل على الحسنات، وتحرص على صالح الأعمال وتريدها، وفي الوقت نفسه تبغض الشر، وتكره السيئات، وتنفر من الأعمال الرديئة والخصال السافلة.

والنفس المطمئنة هي المصدِّقة بوعد الله، والواثقة بثوابه جَلَّ وَعَلَا، والمؤمنة بما قال الله في كتابه وقال رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سُنَّته.

والنفس المطمئنة هي الموقنة بلقاء الله، المسلِّمة لأمره ونهيه عَزَّوَجَلَّ، فلا اعتراض عندها على ما أمر الله، ولا انتهاك لديها لما نهى الله عنه.

والخلاصة أنَّ من تأمل ما ورد من أقوال السلف الصالح وتفسيراتهم للنفس المطمئنة وجدها تدور على أصلين:

- **الأول:** طمأنينة العلم والإيمان.
- **الثاني:** طمأنينة الإرادة والعمل [١].

قال الربيع: سمعت الحسن -وهو البصري- تلا: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ وقال: «النفس المؤمنة: اطمأنت إلى الله، وأحبت لقاء الله وأحب الله لقاءها، ورضيت عن الله ورضي الله عنها، فأمر بقبض روحها فغفر لها وأدخلها الجنة، وجعلها من عباده الصالحين» [٢].

وأما النفس اللوامة، فهي التي تذنب وتتوب، وتقبل على الخير وتقع في الشر، وتفعل المأمور وترتكب المحظور، فعندها خير، وعندها شر، لكن إذا عملت الشر أنابت إلى الله ورجعت إليه، ولامت صاحبها على ما بَدَر منها من شر، وربما لامته على فِعْل الخير، وقيامه به، وسعيه فيه «فهي في الحقيقة نفس بين نفسين» [٣]، فلذا سميت لوَّامة؛ لأنها تلوم صاحبها على عمل المعاصي والذنوب والتفريط في الواجبات، وبهذا وردت الآثار عن سلفنا الصالح.

قال سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تلوم على الخير والشر» [٤].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٩/٢٩٤)، الروح للإمام ابن قيم الجوزية (٢/٦٣١).

(٢) حلية الأولياء (٦/٢٩٩).

(٣) تفسير جزء عم لابن عثيمين (ص:٥٤).

(٤) جامع البيان (٢٣/٤٦٩).

وقال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تندم على ما فات وتلوم عليه»[٥].

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾: «إنَّ المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه، يقول: ما أردت بكلمتي، يقول: ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديث نفسي، فلا تراه إلا يعاتبها، وإنَّ الفاجر يمضي قُدُماً فلا يعاتب نفسه»[٦].

وأما النفس الأمَّارة بالسوء، فهي التي يغلب عليها الشر، واتِّباع الهوى، وتأمر صاحبها بكل سوء، وتعيقُه عن الخير، وتؤزُّه إلى فعل السيئات، وتتبع الشهوات، وتميل مع الباطل حيث مال، وتستحسن المعاصي، وتتلذذ بالمنكرات وعملها، وتنفر من الخير وأهله.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد أخبر سبحانه أنها أمَّارة بالسوء، ولم يقل: آمرة؛ لكثرة ذلك منها، وأنه عادتها ودَأْبُها إلا إذا رحمها الله وجعلها زاكيةً تأمر صاحبها بالخير»[٧].

فالواجب على المرء الصادق في إصلاح قلبه وتزكية نفسه الإقبال على ما ينفعها عند الله، ويعلو بها في مقامات الهداية والسلامة من آفات النفوس وأمراضها حتى ينال النفس المطمئنة والتوفيق بيد الله وحده، قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

---

(٥) جامع البيان (٢٣/٤٧٠).
(٦) الزهد لأحمد بن حنبل (ص:٢٢٨).
(٧) إغاثة اللهفان (١/١٢٨-١٢٩).